

كلمة عن صاحب المذكرات والمسلسل الذى جدد شبابها

أسمع عن مرتضى الراغى وأنا صغير فقد كان مديراً للأمن العام وهو منصب بالغ الخطورة ثم وكيلاً لوزارة الداخلية وفى عام ١٩٥٠ ازدادت شهرته عندما أصبح محافظاً للإسكندرية واستطاع - كما فعل اللواء محمد المحجوب عندما تولى منصب محافظ الاسكندرية - أن يسلط عليها الأضواء نتيجة مجهوداته وشخصيته.. ثم فى يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ وهو اليوم التالى لأحد الأيام الفريدة فى القاهرة التى تعرضت للحرائق فى ذلك اليوم بشكل غير مسبوق، تولى مرتضى الراغى وزارة الداخلية.. وعلى رغم تغير رؤساء الوزارات فى الشهور التالية فقد ظل مرتضى الراغى يتولى وزارة الداخلية. وفى بعض الوزارات كان يجمع معها وزارة الحربية.. ومن هنا كانت أهميته باعتباره الوزير المفروض أن يعرف الكثير. وكان آخر وزير داخلية قبل أن يقع انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. بمعنى آخر أنه كان الوزير الذى كان عليه أن يعرف ما كان يجرى فى الخفاء ضد نظام الحكم أياً كان، أى بصرف النظر عن فساده أو صحته فقد كان عمله أن يحمى هذا النظام ويكشف الذين يتربصون به..

من هنا كان تقديري الكبير له عندما زارنى فى صيف عام ١٩٨٥ فى مجلة أكتوبر وكنت وقتها رأس دار المعارف ومجلة أكتوبر وقد سألتنى إن كان يستطيع نشر مذكراته فى المجلة. ولم أتردد لحظة فى الموافقة وبدأ يرسل لى أوراق المذكرات..

لم تكن ظروف النشر فى تلك السنوات فى منتصف الثمانينات - بالنسبة للقراءة عن فترة حكم فاروق - هى نفسها الظروف الموجودة اليوم. فقد طرأت تغيرات كان من ثمرتها مسلسل «الملك فاروق» الذى كتبه الدكتورة لميس جابر بحرفية وأمانة فى عرض كثير من الوقائع، والذى كان حافظاً قويا لإعادة نشر هذه المذكرات فى كتاب. وسوف يجد القارئ أن قيمة

هذا الكتاب (مذكرات المراغى) الذى بين أيدينا تكشف له ولأجيال غابت أو عُيبت عن تاريخها وركنت إلى أنه تاريخ أسود كئيب، أن هذا التاريخ لم يكن بهذه الصورة المظلمة التى جرى تسويقه بها وأن هناك فترات مضيئة ومواقف مجيدة فى خلال هذه الفترة التى اطلقت عليها ثورة يوليو ١٩٥٢ «العهد البائد» فمصر الناس والزعامات والرجال.. لهذا اختلف المزاج العام اليوم بالنسبة للقراءة عن فترة فاروق..

لقد بحثت يومها عام ١٩٨٥ عن مناسبة أبدأ بها نشر مذكرات مرتضى المراغى ووجدت هذه المناسبة يوم ٢٦ يناير ١٩٨٦ الذى بدأ فيه نشر هذه المذكرات إذ كان هذا اليوم يوافق ذكرى مرور ٣٤ سنة على حريق القاهرة. ذلك أنه فى الساعة الثالثة من صباح الاثنين ٢٨ يناير ٥٢ بعد ساعات من إخماد نيران حريق القاهرة فوجئ مرتضى المراغى الذى كان فى ذلك الوقت فى القاهرة بتليفون من الملك فاروق يقول له فيه: أنت إيه اللى مخليك فى اسكندرية؟ قال المراغى مستغرباً: هو جلاتك عينت حد تانى محافظا للإسكندرية؟ قال فاروق ضاحكاً: مش كده.. انت أصلك بقيت وزير داخلية هو على ماهر ما اتصلش بيك. قال المراغى: والله مش عارف يا مولانا مين المفروض يتصل بى فى الحالة دى.. جلاتك ولا على ماهر.. أصل أنا لم أدخل الوزارة من قبل.

قال فاروق: زى بعضه. انزل مصر بقى علشان تحلف اليمين وهكذا أصبح مرتضى المراغى وزيراً للداخلية..

ومن الغريب أنه وضع اهتمامه بعد توليه الوزارة محاولة معرفة المسئول عن حريق القاهرة لكنه لم يجد حماساً فى مساعدته. وعلى رغم أن فاروق هو الذى اختاره وزيراً - وكان يمكن لو طال حكم فاروق أن يعينه رئيساً للوزارة - إلا أن المراغى - كما سيعرف من يتابع المذكرات - ركز المسئولية عن حريق القاهرة فى اثنين: الملك فاروق، وضباط الثورة قبل أن يقوموا بالثورة.. وكان سنده فى ذلك أن الثورة التى فتحت كثيراً من الملفات القديمة لمحاسبة المسئولين عنها لم تقترب ولم تحاول الاقتراب من ملف حريق القاهرة!

وعلى الرغم من أن الثورة حاكمت عدداً غير قليل من الوزراء السابقين بتهمة الفساد إلا إنها لم تقترب من مرتضى المراغى إلا مؤخراً فى عام ١٩٦٥ وكان المراغى يعيش وقتها فى إيطاليا عندما اتهمه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب ألقاه بأنه - أى المراغى - كان يعد لمؤامرة لقلب نظام الحكم وأنه قام بتسليم أحد الضباط لتنفيذ الانقلاب شيكا بمبلغ ١٦٧ ألف جنيه و٣٥٠ مليماً.. وعلى رغم أنها تبدو نكتة أن يكون الاتفاق على مؤامرة «بشيك» وبفلوس فكة،

فإنه بناء على هذا الاتهام فى خطاب الرئيس قدم المراهى للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ولم يستطع المراهى أن يعود إلى مصر إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر وكانت المصادفة أن يصل إلى القاهرة بعد أن سمح له السادات بالعودة على وعد بالعفو عنه وهو ما تحقق بعد سنة.

نشرت هذه الحلقات على ٢٢ اسبوعا فى مجلة أكتوبر وكان يمكن أن يكون لها صدى واسع لكن الظروف التى تحدثت عنها والوعى المفقود عن تاريخ حكم فاروق كان مسيطراً. اليوم يبدو أن الوعى قد عاد.. وأن الاهتمام قد أصبح كبيرا بما جرى إسقاطه عمداً فى بئر النسيان.. ليكون الاحتفاء المناسب بصاحب هذه المذكرات الذى لقي ربه يوم ٢٨ يناير ١٩٩١.

صلاح منتصر